

الفصل الرابع

مقاومة الخديو للاحتلال (١٨٩٤ - ١٨٩٨)

- ١ - الوفاق الظاهري والمقاومة السرية .
- ٢ - مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال اثناء فتح السودان .
- ٣ - قضية التفراف ومحاكمة الشيخ على يوسف .
- ٤ - تطور العلاقة بين الخديو والسلطان .

يعتبر حادث الحدود نقطة تحول في العلاقة بين الخديو وكرومر وبالرغم من أن الخديو لم يكف عن مقاومة الاحتلال إلا أنه أصبح أكثر حرصاً يتبع سياسة المساومة في الباطن بينما يعلن سياسة الوفاق *Conciliation* رعلى كل حال فإنه يمكن تقسيم هذه الفترة الى قسمين قسم يبدأ من عام ١٨٩٤ وحتى فتح السودان ١٨٩٦ ويتميز باتساع الخديو لوسائل المقاومة السرية ، والقسم الآخر ويبدأ بفتح السودان وفيه يخرج الخديو عن سياسته ويقف علانية ضد مطامع الانجليز في السودان (١) .

وكانت الرغبة الملحة التي واجهت الخديو بعد أزمة الحدود هي التخلص من وزارة رياض ولكن كرومر كان يعارض في أى تغيير وزارى بناء على طلب الخديو ، كما أنه وجد أن اقالة من نصح الخديو بالتسليم بمطالب الانجليز يعتبر مبدأ غير مشجع للوزراء الآخرين على الاستمرار في هذه السياسة ولكن الخديو تغلب على ذلك بتوسيط الأميرة نازلى فاضل صديقة الانجليز (٢) . ولما أحس رياض بما يدور خلف الكواليس قدم استقالته في أبريل ١٨٩٤ فعهد الخديو برئاسة الوزارة الى نوبار باشا ، وكان من المنتظر أن تكون وزارة نوبار وفاق ولكن كل من الخديو وكرومر لم يكونا متشبعين بسياسة الوفاق فاتبع نوبار سياسة الخضوع الكامل للاحتلال مما أثار المشاكل بينه وبين الخديو ومن ثم بين الخديو والاحتلال (٣) . ونتيجة لذلك بدأ الخديو يتودد للاحتلال

(١) د. المسدى : المرجع السابق .

(٢) الأميرة نازلى هانم بنت الامير مصطفى فاضل باشا اخ الخديو اسماعيل كانت من أنصار الانجليز وعشاقهم ، فقد تربت تربية أوروبية وكانت على علاقة وطيدة بالانجليز .

نظر : مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٢ ، ص ٦٥

(٣) المسدى : المرجع السابق .

كما أرسل يستدعى مصطفى كامل من أوروبا . ولكن مصطفى كامل رفض الانصياع لطلبه وأرسل اليه خطابا قال فيه « رأيت من الحكمة أن أؤخر عودتي صيانة لكرامة سموكم ، إذ أنى لو كنت عدت حينذاك لتحقق للانجليز من أنى مرسل الى أوروبا من قبل جنابكم ، وأحببت أن أبرهن لسموكم بتأخيري عن الحضور أن ليس هناك شئ، ما وراء التهديدات الانجليزية ، وأن الانجليز لا يستطيعون ولن يستطيعوا أن يضروا سموكم » .

ومن هذا الخطاب يتضح رفض مصطفى كامل اتباع أوامر الخديو بالعودة الى مصر ووقف حملاته في أوروبا ضد الانجليز خوفا على عرشه ونفسه موضحا أن الانجليز لا يمكنهم الاساءة اليه بسبب جهاده لأنهم لو تمكنوا من ذلك لفعلوه منذ زمن طويل .

ولما أحس كرومر بخضورة دور مصطفى كامل في التشهير بسياسة الاحتلال في مصر أراد التخلص منه بادخاله الجيش برغم تمتعه بالاعفاء القانونى (٤) .

ولكن مصطفى كامل كشف حيلتهم وأوضح أنه كان غائبا في أوروبا ولم يصله اعلان بذلك (٥) .

ونظرا لتغير الظروف الدولية عاد الخديو الى سياسة مقاومة الاحتلال وبوجه خاص بعد أن ساءت علاقة ألمانيا بانجلترا نتيجة لأزمة جنوب أفريقيا كما أن فرنسا بدأت تنظر الى دور انجلترا في اعادة

(٤) نص قانون التجنيد في مصر في ذلك الوقت على اعفاء حملة المؤهلات العالية من الخدمة في الجيش بشرط أن يقدم الشخص ما يثبت مؤهله خلال ثلاثة اشهر .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٩٠ .

(٥) عن تفاصيل هذا الموضوع انظر : على فهمى كامل : مصطفى كامل في ٢٤ ربيعا ، الجزء الخامس ، ص ١٨٦ - ١٩٣ .

فتح السودان نظرة ريب ، وبذلك شعر الخديو بخرج موقف انجلترا ، ولما كانت تركيا قد خرجت من اضطرابات الأرمن ، وحرب اليونان منتصرة فقرر أصبح ممكنا الاستفادة من السلطان في مقاومة انجلترا في مصر ، وقد دفع ذلك الخديو الى زيارة الآستانة وتوطيد الصلة بينه وبين السلطان الى حد كبير ^(٦) لدرجة أن الخديو رغب في الزواج من إحدى بنات السلطان ولم يمانع السلطان في ذلك لولا دسائس أبى الهدى الصيادى عند السلطان بظورة هذا الزواج وايهامه بأنه اذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يستبعد أن يرثحه الانجليز للخلافة ، وبذلك تنتقل الخلافة من تركيا الى مصر ، مما جعل السلطان يحجم عن اتمام هذا الزواج حرصا على مركز الخلافة ^(٧) .

أما الانجليز فقد قاموا بالضغط على السلطان حتى لا يشجع الخديو في حركته المضادة لهم ، ونجحوا في ذلك اذ « أن السلطان نصح الخديو بطريقة أبوية أن يفوض أمره الى الله ^(٨) » فعاد الخديو الى مصر خصما مؤدبا ذليلا بعد أن ذهب الى الآستانة شاعرا سلاح الحرب ^(٩) ، ولكن الأحوال لم تستمر على هذا المنوال اذ أن الخديو بدأ يقاوم طلب الانجليز في إعادة فتح السودان .

مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال اثناء فتح السودان :

اعتبرت انجلترا أن سوء ادارة الحكم المصرى في السودان هو الذى أدى الى ضياعه ، ولكن الوقائع أثبتت أن انجلترا عملت منذ بداية احتلالها لمصر على تصفية الوجود المصرى في السودان ثم استغلال الأوضاع الدولية لوضع يدها عليه .

(6) Ahmed Shafik Pacha : l'Egypte Moderne et les Influences et rangeres p. 170.

(٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٦ .

(٨) نفسه ص ١٤١ .

(9) Cromer : Abbes II p. 54.

(م ١١ — الخديو عباس الثانى)

ولما تطورت الأحداث الدولية في مارس ١٨٩٦ بهزيمة القوات الإيطالية على يد الأحباش شعر الطليان بأن الخطر يتهددهم من جانب الأحباش ومن جانب المهديّة ، لذلك استتجدت الحكومة الإيطالية بانجلترا للقيام بعمليات حربية في السودان حتى لا يتحد الأحباش والسودانيون ضد أوربا (١٠) .

واستجابت بريطانيا لنداء إيطاليا وشجعها على ذلك رغبتها القديمة في استعادة السودان ، فأبرقت الى معتمدها في مصر بالأمر فاتفق مع السردار على الخطة العامة لاعادة فتح السودان وبدأ في تنفيذها قبل اعلان الخبر للخديو والحكومة المصرية (١١) .

ومع أن المصريين كانوا قد حزنوا لضياح السودان واستمسكوا بارتباط السودان بمصر وآثر شريف باشا الاستقالة احتجاجا على اخلائه وتحمس المصريون في أول الأمر لاعادة فتح السودان فان هذا الحماس قد فتر بعد أن اعتقدوا أن هذا الفتح سيكون في صالح بريطانيا حيث سيضمن لها بقاء مصر في حوزة امبراطوريتها ويتضح من قول أحد الأنجليز المعاصرين « اننا سنحكم مصر اذا تواجدنا عند منابع نهر النيل (١٢) » بمعنى أن تواجد انجلترا في السودان سيطيّل أمد احتلالها لمصر .

وقد اعترض الخديو عباس الثاني على الحملة صراحة كما اعترضت جرائد السراي والجرائد الوطنية (١٣) ، ولكن الخديو اضطر تحت

(١٠) مكي شيكّة : السودان في ترن ١٨١٩ — ١٩١٩ . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥
(١١) نفسه : ص ٢٧٥

(12) Langer. W. L. The Diplomacy of Imperialism 1890 - 1902 Vol. 1 New York p. 127.

(١٣) قامت جريدة المؤيد بحملة كبرى ضد اادة فتح السودان ، انظر اعداد ١٨ — ٢٨ مارس ، ١٥ أبريل ، ١ مايو ، ١٦ يونيو ، ٢٦ أغسطس ١٨٩٧ ، ٢ أغسطس ، ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨

تهديدات كرومر الى اقرارها وبوجه خاص بعد أن رأى الوزراء المصريين قد وافقوا عليها وأن ألمانيا وتركيا لم تبديا اعتراضا واضحا على الحملة .

أما عن رأى الحركة الوطنية في فتح السودان فقد أوضحه مصطفى كامل بقوله « اننا نود من صميم قلوبنا أن نسترد المقاطعات السودانية التي هي لبلادنا الروح نفسها . . . ولكننا ما أردنا قط ولا نريد أبدا أن نسترجع السودان تحت قيادة الانجليز وبوجودهم على رأس الجيش يحفرون بيننا وبين السودانيين حفرة من أعماق الحفر تؤخر لزمن مديد صلحنا معهم (١٤) » كما أوضح أن إعادة فتح السودان سيؤدي الى اطالة أمد الاحتلال البريطاني لمصر (١٥) .

وقد قام مصطفى كامل بحملة شديدة ضد فتح السودان موضحا أن هدف الانجليز منه هو تحويله الى مستعمرة بريطانية .

وخلال عمليات الفتح وبعدها قاسى الجيش المصرى الكثير من المتاعب نتيجة للتغيير الشديد الذى اتبعه ككتشنر ، فلم يستطع أفراد الحملة الحصول على القدر الكافى من الغذاء والكساء ووصل الأمر بالجنود أن دخلوا دنقلة بأسمال باليسة كما كان على القوات أن تقطع مسافات شاسعة سيراً على الأقدام في جو السودان الشديد الحرارة لعدم كفاية وسائل النقل ، وكانت قلة وسائل النقل سبباً في نقص الخدمات الطبية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تخطاه الى سوء المعاملة التى لقيها الجنود المصريون من الضباط الانجليز (١٦) .

(١٤) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٩٣

(١٥) نفسه : ص ٩١

(١٦) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الثانى والعشرون ١٩٧٥ ، مقال للدكتور المسدى تحت عنوان الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، ص ١٢٤ — ١٢٦

يضاف الى ذلك أن مصر تحملت الكثير من النفقات أثناء فتح السودان مما أرهاق ميزانيتها . فكان السودان مصدر انفاق لا مصدر إيراد لمصر ومع ذلك فان مصر على الدوام لم تبخل بأى تضحية من الرجال والمال في سبيل جمع شمال الوادى بجنوبه (١٧) .

ولكى يحقق كرومر لبلاده السيطرة على السودان رأى ضرورة اشتراكها في الفتح بالتخطيط والقيادة والأموال وتنفيذا لذلك رأى أنه لو أقرضت إنجلترا مصر أموالا لمصاريف الحملة فان الأراضي المفتوحة ستزهن مقابل هذا القرض ، وذلك بأن يتولى السردار الانجيزى للجيش المصرى ادارة تلك الأقاليم باسم الحكومة البريطانية حتى يسدد القرض ، وتحت التهديد وافق الخديو على قبول ذلك (١٨) .

كما رأى كرومر أن يتم بيع سكة حديد السودان (١٩) الى شركة انجليزية بحجة حاجة الحكومة الى المال لتدبير نفقات الحملة ، ولأن الحكومة لم تعد في حاجة الى السكة الحديد بعد انتصار الجيش المصرى ولكى يستكمل كرومر خطته رأى أن تتنازل بلاده عن القرض الذى قدمته للحكومة المصرية بحجة توفير الأموال لمواصلة الفتح (٢٠) .

وتتيجة لتهديدات كرومر المستمرة للخديو ، وفقدان الأمل في المساعدات الدولية وقع الخديو اتفاقية السودان في ١٩ يناير ١٨٩٩ ، وهذه الاتفاقية تمثل البداية الفعلية لاستسلام الخديو وخضوعه

(١٧) اخبار اليوم : فى ١٩٤٥/١٢/١ مقال للدكتور وحيد رافت تحت عنوان « السودان أو وحدة وادى النيل » .

(١٨) المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٩) مد الجيش المصرى سكك حديدية فى صحراء النوبة ليتسنى له أن يزحف ويحتفظ باتصاله بقواعده العسكرية ، وقد عانى المصريون ضروب المشاق والأهوال أثناء انشغالهم بانشاء السكك الحديدية فى تلك الصحراء المتفجرة .

الزافى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٣٦

(٢٠) المسدى : المرجع السابق .

للاحتلال : ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يستسلم لما حدث بل هاجم هذه الاتفاقية واعتبرها باطلة كما اعتبر يوم ١٩ يناير وهو اليوم الذى وقعت فيه هذه الاتفاقية يوم من أكبر أيام الشتاء فى تاريخ مصر (★) .

قضية تلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف :

شغلت هذه القضية الرأى العام المصرى لفترة ، وتتحصر فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافا سريا أرسله اللورد كاتشنر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦ الى وزير الحربيه بخصوص أحوال الحمله فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بأفراد الجيش (٢١) هناك وصورته كالتالى « تفيد التلغرافات الواردة من (كوشه) أمس على نظارة الحربيه التفصيلات الآتية عن حالة الجيش المصرى فى الحدود وقد أظهر سماعة السردار أسفه وأنه لم يتمكن منذ أيام من ارساله التفصيلات لأنه كن شديد القلق من الكوليرا التى انتشرت هناك فى كل نقطة ومركز من مراكز خط المواصلات وفى المعسكرات » ثم قال وقد حصل فى أسوان بين عساكر الحضرة الخديوية الفخيمة ٣٩ اصابة توفى فيها ١٥ شخصا ، أما فى كروسكو فقد حصلت ٢٢ اصابة توفى منها ١٣ . وفى حلغا ١٥٦ اصابة توفى منها ١٨ وست وفيات فى الجيش انبريطانى ، واستمر المؤيد فى ذكر بيان الاصابات كما وردت فى تلغراف السردار (٢٢) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف حصل الشيخ على يوسف على تلغراف سرى من وزارة الحربيه رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنيه ؟

(*) اللواء : العدد ١٦ فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « يوم ١٩ يناير » .

(٢١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٣١

(٢٢) المؤيد : عدد ٢٨ يوليه ١٨٩٦ تحت عنوان « احوال الجيش

المصرى فى الحدود » .

لقد بحثت الحكومة هذا الأمر فاتفقت لها أن توفيق أفندي كيرلس الموظف بمكتب التلغراف بالأزبكية هو الذى تلقى برقية السردار وأبلغ عن فحواها الى المؤيد (٢٣) وأن الشيخ على يوسف تواطأ مع موظف التلغراف وأخذ منه البرقية ونشرها فى جريدته (٢٤) .

وأقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس بناء على طلب اللورد كاتسبر ونظرا لأن جريدة المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية فى ذلك الوقت فقد ازدحمت الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية حتى أن بعض قاصدى الجلسة دنع لدخوله قاعة المحكمة أجرا يتراوح بين نصف الجنيه والجنيهين للشخص الواحد (٢٥) ، ولما كان محمد فريد وقتئذ يعمل وكيلًا بناية الاستئناف فقد شهد القضية وأظهر عطفه على صاحب المؤيد وبغضه للاحتلال وسياسته ، وانتهى الأمر بصدور الحكم فى القضية يوم ١٩ نوفمبر ١٨٩٦ ببراءة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر (٢٦) ؛ ونتيجة لذلك هتف الحاضرون فى المحكمة بعدالة القضاء واستقلاله . ولم يتمالك محمد فريد فى اظهار سروره بهذا الحكم مما أدى الى نكمة الاحتلال عليه فطلب الانجليز من النائب العام نقله الى احدى نيابات الوجه القبلى ، فأصدر أمرا بنقله الى نيابة بنى سويف ، ولكن فريد اعتبر أن هذا النقل بمثابة انتقام منه لا نقلا تقتضيه المصلحة لذلك رفض تنفيذ أمر النقل ، واستقال من وظيفته احتجاجا على ذلك وكتب الى النائب العمومى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٩٦ بقبول استغفائه (٢٧) .

ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضية استأنفت النيابة الحكم

(٢٣) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والنضحية ، ص ٢٨

(٢٤) دار الوثائق : مذكرات تاريخ حياة ابراهيم الهلباوى ، ص ٥٢

(٢٥) نفسه : ص ٥٣

(٢٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٢٧) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من

مجلس النظر ومن النظارات عام ١٨٩٦

فنظرت القضية في أول ديسمبر ١٨٩٦ أمام محكمة الجنح المستأنفة ثم تأجلت منتصف الى نصف الشهر وفيها أصدرت المحكمة حكمها بتأييد حكم البراءة بالنسبة للشيخ على يوسف ، والغاء الحكم بالنسبة لتوفيق كيرلس وبراعته (٢٨) .

ومن ذلك يتضح أن اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية يعتبر مثلا على نضوج الوعى القومى فى ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال وأعوانه .

تطور العلاقات بين الخديو والسلطان :

باعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر مستغلا ذلك صغر سن الخديو ومع أن الخديو حاول مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على الأحوال الداخلية فى مصر الا أن هذا التعاون كان يتعذر أحيانا خصوصا بعد أن اتضح للخديو عجز السلطان عن الوقوف معه ضد الاحتلال .

ولما كان الخديو يخشى نفوذ السلطان فى مصر — نظرا لأن المصريين كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين شرعا بطاعته باعتباره الأب الروحى للمسلمين — فقد بدأ يقاومه ويقف فى وجهه سحبه لأى امتيازات نالتها مصر من قبل .

ومع أن السلطان كان قد وهب ايرادات جزيرة طاشيوز الى محمد على بموجب فرمان صدر عام ١٨١٣ جزاء انتصاره على الوهابيين (٢٩) فانه حاول استرداد هذه الامتيازات فى عصر عباس الثانى فى حين

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٩

(٢٩) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٢٩٨

حاول الخديو التمكين لنفسه في هذه الجزيرة (٣٠) ، وقد بدأ النزاع على هذه الجزيرة منذ عام ١٨٩٥ فلما أراد الخديو بناء قصر له فيها رفض السلطان طلبه كما رفض السماح له بالذهاب اليها مما زاد من الجفاء بينهما الأمر الذي جعل الخديو يمنع الدعاء للسلطان في المساجد (٣١) .

وتطورت الأمور عندما فرض أحمد خيرى مدير الأوقاف الخديوية بطاشيوز ضريبة عالية على الماعز نظرا لأنها كانت تأكل شجيرات الزيتون هناك وأخذ أعيان الجزيرة كرهائن حتى يدفع الأهالى ما عليهم من حسابات (٣٢) فتذمر الأهالى واشتكوا الى مأمور الجزيرة التركي من ذلك كما أرسلوا الى الخديو يلتمسون الغاء الضريبة وقبل أن يتم النظر فى شكواهم قاموا بمظاهرة وذهبوا الى مأمورية مركز ادارة الجزيرة واصطدموا بالقوات الموجودة هناك فقتل عدد منهم (٣٣) ، ولما أبلغ السلطان بالأمر انتهز الفرصة فأمر بارسال قوات لاحتلال الجزيرة كما أصدر أمرا بضم معاون طاشيوز الى خزينته الخاصة وضم ادارة الجزيرة الى ولاية سالونيك (٣٤) مما أثار غضب الخديو وجعله يتقرب من الانجليز .

(٣٠) حاول الخديو التمكين لنفسه فى هذه الجزيرة فقام بتحسين أحوالها « وايجاد الأسباب الباعثة لثروة ورفاهية اهاليها » كما أمر بتيسير سبل المواصلات وسهولة التنقل بها .
دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى . رقم ٤٥٣٩٣ فى ١٧ يونيه ٩٩ تحت رقم ٤٨ كما أمر بإنشاء معصرة لزيت الزيتون هناك نظرا لما تشتجر به الجزيرة من حاصلات الزيتون .

(31) Blunt : My Diaries, Vol. 1, p. 255 - 256.

(٣٢) يتضح ذلك من دواوين المعية السنية .

انظر : ديوان رقم ٤٥٣٩٥ تحت رقم ٢٨ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٠٠
(٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٣٦٦

(٣٤) نفسه : ص ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١١

وهكذا كانت طاشيوز هي الصخرة التي تحطمت عليها علاقات الخديو بالسلطان (٣٥) .

طلب الخديو مساعدة الانجليز فزاره ونجت باثما بقصر رأس التين فأطلعه الخديو على تفاصيل الحادث ، وعلى حاجته الى معاونة كرومر له فنصحه بالتمسك بموقفه وأوضح له بأن الانجليز على استعداد لمساعدته اذ هو اتفق معهم ، وأن حل المسألة يمكن أن ينتهي بارسال سفينة حربية بريطانية لهذه الجزيرة (٣٦) .

وقد حاولت جريدة اللواء رأب الصدع بين السلطان والخديو فذكرت « ان منزلة الجناب العالى من جلالة السلطان كمنزلة الولد البار من الوالد العطوف » كما هاجمت المحاولات التي تبثها بعض الصحف المغرضة للتفريق بين السلطان والخديو (٣٧) . كما حذر مصطفى كامل من نجاح الانجليز فى التفارقة بين السلطان والخديو ثم طالب الخديو بالتبصر فى الأمور ، وبذل الجهود لتوطيد علاقة مصر بالدولة العثمانية حتى يكفل ذلك له سلامة عرشه (٣٨) .

والجدير بالذكر أن الخديو كان على استعداد لتعاون مع الانجليز ضد السلطان ، ولكنه لم يكن مستعدا لقطع العلاقات نهائيا معه (٣٩) بالدرجة التي تمكن الانجليز من اعلان حمايتهم على مصر ، ومن هنا

(٣٥) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢٣٧

(٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١١ - ٤١٢

(٣٧) اللواء : عدد ٨٤٤ فى ١٥ يوليه ١٩٠٢ تحت عنوان « مسألة طاشيوز » .

(٣٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣٩) عندما طلب كرومر من الخديو عزل قاضى انقضاة التركى وتعيين آخر مصرى مكانه رفض الخديو على أساس ان ذلك من اختصاص السلطان ، وقد استمرت محاولات الانجليز فى هذا السبيل للتفاصيل انظر : مذكرات سعد زغلول كراسة رقم ٩ ، ص ٤٣٧

لجأ الخديو الى أسلوب الضغط على السلطان حتى يعيد اليه امتيازات مصر في طاشيوز وكان ذلك باستخدام طريقتين :

١ - مساعدته لأعضاء جماعة تركيا الفتاة .

٢ - التلويح بإمكان قيام خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية (٤٠) .

ومن أجل ذلك رحب الخديو بأعضاء جماعة تركيا الفتاة الفارين من بطش السلطان وقربهم اليه واستخدمهم في قصره وظل الأمر كذلك حتى ساءت علاقة الخديو بالانجليز فتقرب الى السلطان وحاول استرضاءه باضطهاد أعضاء جماعة تركيا الفتاة الموجودين بمصر كما حدث في مسألة ليون فهمي (٤١) وحادث المطبعة (٤٢) ، ولكن السلطات الانجليزية حالت دون بطش الخديو بهؤلاء واحتضنهم كرومر وزاولوا نشاطهم في مصر تحت حماية الانجليز .

أما عن تلويح الخديو باقامة خلافة عربية فذكر البعض أن الخديو كان يطمع في الخلافة ، ويريد أن يستمد من سمعة الأزهر وعلمائه في العالم الاسلامي سنداً دينياً يرجحه على أمراء المسلمين (٤٣) ، وقد

(٤٠) الكاتب : العدد ١٥٩ في يونيه ١٩٧٤ تحت عنوان « أم القري للكواكبي » .

(٤١) انظر : الفصل الثاني .

(٤٢) خلاصتها أن بعض الأوراق الخاصة بسجلات المشتركين في جماعة تركيا الفتاة كانت قد طبعت في عام ١٩٠٠ ، ثم حدث نزاع على ملكية المطبعة التي طبع فيها هذه السجلات استغلها اتباع السلطان في الحصول على الاسماء الموجودة بالسجلات وتسليمها للسلطان ، ونظراً لخطورة الأمر اتصل أعضاء هذه الجماعة بكرومر مأسرع بالتدخل في الأمر والاستيلاء على الأوراق الموجودة بالمطبعة وحرقتها .

Cromer : Abbas II p. 79.

أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥

(٤٣) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٣٤

أحس السلطان بذلك فلما زار الخديو الآستانة والتقى بجمال الدين الأفغانى هناك استدعى السلطان اليه الأفغانى وسأله أتريد أن تجعلها عباسية — بمعنى أنه يتآمر على اسناد الخلافة الى الخديو عباس الثانى — فرد عليه الأفغانى بأن الخلافة ليست خاتما فى يده يضعه فى أصبع من يشاء (٤٤) .

كما يذكر بلنت أن الخديو أرسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمقابلة ابن الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العربية ، ولكن لم تتم المقابلة نظرا لضغط السلطان على الخديو (٤٥) .

وبالرغم من ذلك فاننا نرى أن الخديو عباس الثانى لم تكن لديه القدرة التى تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية ، وان الأمر لا يعدو أكثر من مزاولة الضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، ووقف تدخله فى شئون مصر .

وعلى كل حال فقد أضعفت معارك الخديو مع السلطان من موقفه أمام الانجليز ، وجعلته يقع تحت ضغط كرومر .

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٨٨

(45) Blunt : op. cit., Part 1, p.p. 252 - 272.